

خطب العقيلة زينب وادعيتها

خطبتها في الكوفة :

قال بشير بن حذيم الاسدي ؛ قدمت الكوفة في المحرم سنة احدى وستين . عند منصرف علي بن الحسين (ع) والسبايا من كربلاء ومعهم الاجناد يحيطون بهم . وقد خرج الناس للنظر اليهم ، فلما اقبل بهم على الجمال بغير وطاء . خرجن نسوة اهل الكوفة يكيبن وينشدن . فسمعت علي بن الحسين (ع) يقول بصوت ضئيل ضعيف ، وقد انتهكته العلة والجامعة في عنقه والغل في يديه ، ويداه مغلولتان الى عنقه : الا ان هؤلاء يكون ويتوجعون من اجلنا ، فمن قتلنا اذن ؟

قال : ونظرت الى زينب بنت علي يومئذ ولم ار خفرة^(١) قط انطق منها كأنما تنطق عن لسان امير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وتفرغ عنه . وأومأت الى الناس ان اسكتوا فارتدت الانفاس وسكنت الاصوات ، فقالت :

والحمد لله والصلاة على محمد وآله الطيبين الاخيار ، اما بعد يا اهل الكوفة ، ويا اهل الحضر^(٢) والغدر ، أتبيكون ؟ فلا رقات الدمة ولا هدأت الرنة ، انما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا^(٣) . اتخذون ايمانكم دخلاً بينكم ، الا وهل فيكم الا الصلف^(٤) والنطف^(٥) والشنف^(٦) وملق الاماء وغمز الأعداء ، او كمرعى على دمنة^(٧) أو كقصبة^(٨) على ملحودة .

الا ساء ما قدمت لكم انفسكم ان سخط الله عليكم وفي العذاب انتم خالدون . اتبيكون وتنتحبون إي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً . فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ولن ترحضوها بغسل بعدها ابداً ، وانى ترحضون قتل سليل خاتم الانبياء وسيد شباب اهل

الجنة ، وملاذ خيرتكم ، ومفزع نازلنكم ، ومنار حجتكم ، ومدره^(١) مستكم ، ألا ساء ما تزررون ، وبعداً لكم وسحقاً . فلقد خاب السعي ، وتبت الأيدي ، وخسرت الصفقة ويؤتم بغضب من الله ، وضربت عليكم الذلة والمسكنة .

ويلكم يا أهل الكوفة : اتدرون اي كبد لرسول الله فريتم ، واي كريمة له ابرزتم ، واي دم له سفكتكم ، واي حريم له اصبتم ، واي حرمة له انتهكتكم ، لقد جئتم شيئاً اذاً ، تكاد السموات يتفطرن منه ، وتنشق الارض منه ، وتخر الجبال هذا . ان ما جئتم بها لصلعاء ، وعتقاء سوداء ، فقهاء خرقاء شوهاء ، كطلاع الارض وملاء السماء ، افعجبتم ان قطرت السماء دماءً ، ولعذاب الآخر اشد واخزى وانتم لا تنصرون ، فلا يستخفنكم المهل ، فانه عز وجل لا يحفره البدار ، ولا يخاف فوت الثار ، كلا ان ربكم لبالمرصاد .

قال بشر : فوالله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى كأنهم كانوا سكارى ، سيكون ويحزنون ويتفجعون ويتأسفون وقد وضعوا ايديهم في افواههم . قال : ونظرت الى شيخ من اهل الكوفة كان واقفاً الى جنبي ، قد بكى حتى اخضلت لحيته بدموعه وهو يقول :

صدقَ بابي وامي ، كهولكم خير الكهول ، وشبانكم خير الشبان ، ونساؤكم خير النسوان ، ونسلكم نسل لا يخزى ولا يیزی^(٢) .

وذكر السيد ابن طاووس : ان ابن زياد جلس في القصر ، واذن للناس اذنأ عاماً ، وجيء اليه برأس الحسين (ع) فوضع بين يديه في طشت . وادخلت عليه نساء الحسين وصبيانهم وجاءت زينب ابنة علي امام النساء وهي متنكرة ، فسأل ابن زياد : من هذه المتنكرة ؟ فقبل له : هذه زينب بنت علي . فاقبل عليها بوجهه . قال : الحمد لله الذي فضحككم ، واكذب احدوئتكم فقالت عليها السلام :

« الحمد لله الذي اكرمنا بالنبوة وطهرنا من الرجس تطهيرا ، انما يفتضح الفاجر ويكذب الفاسق وهو غيرنا » . فقال : كيف رأيت صنع الله باخيك وأهل بيتك ؟ فقالت : « ما رأيت الا خيراً . هؤلاء قوم كتب عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم ، فتحاج وتخاصم ، فانظر لمن الفلج يومئذ ، ثكلتك امك يابن مرجانة » .

خطبتها في الشام :

واما خطبة العقيلة الحوراء (ع) في مجلس الخلافة بالشام أمام يزيد بن معاوية وأعوانه فانها عليها السلام قامت فقالت :

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله وآله اجمعين ، صدق الله سبحانه حيث يقول - ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوا ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون - اظننت يا يزيد حيث اخذت علينا اقطار الارض وآفاق السماء فاصبحنا نساق كما تساق الاسارى ان بنا على الله هوانا ، وبك عليه كرامة وان ذلك لعظم خطرك عنده ؟ فشمخت بانفك ، ونظرت في عطفك ، تضرب اصدريك فرحاً وتنفض مذورك مرحاً^(١) جدلان مسروراً حيث رأيت الدنيا لك مستوسقة ، والامور لك متسقة^(٢) وحين صفالك ملكنا وسلطاننا فمهلاً مهلاً ، أنسيت قول الله تعالى «ولا يحسبن الذين كفروا انما غلبي لهم خيراً لانفسهم انما غلبي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين» .

أمن العدل يا ابن الطلقاء^(٣) تحذيرك حرائرك وإماءك ، وسوقك بنات رسول الله سبايا ، قد هتكت ستورهن ، وابديت وجوههن ، وصحلت اصواتهن^(٤) ، تحذو بهن الاعداء من بلد الى بلد ، ويستشرفهن اهل المناهل والمعاقل ، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد ، والدني والشريف ، ليس معهن من رجأهن ولي ، ومن حماهن حمي ، وكيف يرتجى مراقبة ابن من لفظ فوه اكباد الازكياء^(٥) ونبت لحمه من دماء الشهداء ، وكيف يستبطأ في بغضنا اهل البيت ، من نظر الينا بالشفن والشنآن . والإحن والاضغان ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم داعياً باشياخك :

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل
لاهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يايزيد لا تشل^(٦)

منحنياً على ثنايا ابي عبد الله سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتك^(٧) وكيف لا تقول ذلك ، وقد نكأت القرحة^(٨) ، واستأصلت الشافة^(٩) ، باراقتك دماء ذرية محمد صلى الله عليه وآله ، ونجوم الارض من آل عبد المطلب ، اتهف باشياخك زعمت انك تنادهم . فلتردن وشيكاً^(١٠) موردهم ولترودن انك شللت وبكمت ، ولم تكن قلت ما قلت ، وفعلت ما فعلت ، اللهم خذ لنا بحقنا وانتقم ممن ظلمنا ، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا ، وقتل حماتنا ، فوالله يا يزيد ما فريت^(١١) إلا جلدك ، ولا حزرت إلا لحكم ، ولتردن على رسول الله بما تحملت من دماء ذريته ، وانتهكت من حرمة ، في عترته ولحمته ، حيث يجمع الله تعالى شملهم ويلم شعنهم ، ويؤخذ بحققهم ، (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون)^(١٢) . وحسبك بالله حاكماً ومحمد صلى الله عليه وآله خصيماً ، وبجبرئيل ظهيراً ، وسيعلم من سؤل لك ومكنك من رقاب المسلمين (بش للظالمين بدلا)^(١٣) وأيكم شر مكان ،

واضعف جنداً ، يزيد ولئن جرت عليّ الدواهي مخاطبتك اني لاستصغر قدرك ، واستعظم تقريعتك ، واستكثر توبيخك ، لكن العيون عبرى والصدور حرى ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجبا بحزب الشيطان الطلقا فهذه الايدي تنطف^(٢٢) من دماثنا ، والاافواه تتحلب من لحومنا^(٢٣) وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل^(٢٤) وتعفرها امهات الفراعل^(٢٥) ولئن اتخذتنا مغنياً ، لتجدنا وشيكاً مغرمأ حين لا تجد إلا ما قدمت يدك (ومارك بظلام للعبيد)^(٢٦) ، والى الله المشتكى وعليه المعول ، فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك ، فوالله لا تمحو ذكرنا ، ولا تميت وحيننا ، ولا تدرك امدنا ولا ترخص عنك عارها ، وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد وجمعك الا بدد يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين فالحمد لله رب العالمين الذي ختم لأولنا بالسعادة ولآخرنا بالشهادة والرحمة . ونسأل الله ان يكمل لهم الثواب ، ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة انه رحيم ودود ، وهو حسبنا ونعم الوكيل^(٢٧) .

عبادتها وعبادتها وادعيتها :

كانت السيدة زينب (ع) تشبه اباهما علياً وامها الزهراء بالعبادة ، وكانت تؤدي النوافل كاملة ، في كل اوقاتها ، حتى ان الامام الحسين عليه السلام عندما اوصاها ليلة العاشر من المحرم فمن جملة وصاياه أن قال لها : اختاه يا زينب واوصيك ان لا تنسيني في نافلة الليل ولم تغفل العقيلة عن نافلة الليل قط ، حتى ليلة العاشر من محرم فقد جاءت الرواية عن فاطمة بنت الحسين (ع) انها قالت : « اما عمتي زينب ، فانها لم تزل قائمة في تلك الليلة - اي ليلة عاشوراء - في محرابها تستغيث الى ربها ، والنساء ما هدأت لهن عين ولا سكنت لهن رنة » .

اجل . . . كانت سلام الله عليهما من القانتات العابدات اللواتي وقفن حركاتهن وسكناتهن وانفاسهن للباري تعالى ، وبذلك حصلن على المنازل الرفيعة والدرجات العالية ، التي حكت برفعتها منازل المرسلين ودرجات الاوصياء عليهم الصلاة والسلام .

اما تهجدها وادعيتها فقد كانت العقيلة عليها السلام ، كثيرة العبادة والتهجد والدعاء ، ملازمة للقرآن الكريم ولن يفتر لسانها عن ذكر الله قط ، تدعو الله بعد كل صلاة وتسبحه ، ومن ادعيتها التي كانت تقرأها بعد صلاتها وحال القنوت ، وقد اخذت هذه الادعية عن جدها المصطفى وابيها المرتضى وامها الزهراء ، قولها :

« يا عباد من لا عباد له ، ويا ذخر من لا ذخر له ، ويا سند من لا سند له ، ويا حرز الضعفاء ، ويا كنز الفقراء ، ويا سميع الدعاء ، ويا مجيب دعوة المضطرين ، ويا كاشف السوء ، ويا عظيم الرجاء ، ويا منجي الغرقى ، ويا منقذ الهلكى ، يا محسن يا مجمل ، يا منعم

يا متفضل ، انت الذي سجد لك سواد الليل ، وضوء النهار ، وشعاع الشمس ، وحفيف الشجر ، ودوي الماء ، يا الله يا الله ، الذي لم يكن قبله ولا بعده ، ولا نهاية ولا حد ، ولا كفؤ ولا ند ، بحرمة اسمك الذي في الأدميين معناه المرتدي بالكبرياء والنور والعظمة ، محقق الحقائق ومبطل الشرك والبوائق ، وبالاسم الذي تدوم به الحياة الدائمة الازلية ، التي لا موت معها ولا فناء ، وبالروح المقدسة الكريمة ؛ وبالسهم الحاضر النافذ ، وتاج الوقار ، وخاتم النبوة وتوثيق العهد ، ودار الحيوان ، وقصور الجبال . يا الله لا شريك له .

ومن الادعية والتسبيحات التي كانت تواضب (ع) على قراءتها ، هو :

«سبحان من لبس العز وتردى به ، سبحان من تعطف بالمجد والكرم ، سبحان من لا ينبغي التسبيح إلا له ، جل جلاله ، سبحان من احصى كل شيء عدداً بعلمه وخلقه وقدرته سبحان ذي العزة والنعم ، اللهم اني اسألك بمعاهد العز من عرشك ، ومنتهى الرحمة من كتابك ، وباسمك الاعظم وجدك الاعلى ، وكلماتك التامات التي تمت صدقاً وعدلاً ، ان تصلي على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين ، وان تجمع لي خيري الدنيا والآخرة ، بعد عمر طويل ، اللهم انت الحي القيوم انت هديتي ، وانت تطعمني وتسقيني ، وانت تميتني برحمتك يا ارحم الراحمين» .

ومن ادعية ابيها التي كانت تدعو بها بعد صلاة العشاء :

«اللهم اني اسألك يا عالم الامور الخفية ، ويا من الارض بعزته مدحية ، ويا من الشمس والقمر بنور جلاله مشرقة مضية ، ويا مقبلاً على كل نفس مؤمنة زكية ، ويا مسكن رعب الخائفين واهل التقية ، يا من حوائج الخلق عنده مقضية ، يا من ليس له بواب ينادي ، ولا صاحب يغشى ، ولا وزير يؤق ولا غير رب يدعى ، يا من لا يزداد على الاحاح الا كرمًا وجوداً صل على محمد وآل محمد واعطني سؤلي انك على كل شيء قدير» .

وما كانت تناجي ربها به هذه الايات ، وهي من مناجاة ابيها أمير

المؤمنين (ع) :

للك الحمد يا ذا الجود والمجد والعلی	تباركت تعطي من تشاء وتمنع
الهي وخلاقي وحرزي وموئلي	اليك لدى الاعسار واليسر افزع
الهي لئن جلت وجهت خطيئتي	نففوك عن ذنبي اجل واوسع
الهي لئن اعطيت نفسي سؤلها	فها انا في روض الندامة ارتع
الهي ترى حالي وفقرتي وفاقي	وانت مناجاتي الخفية تسمع

الهي فلا تقطع رجائي ولا تنزع
الهي لئن خيبتني او طردتني
الهي اجرني من عذابك اني
الهي فأنسني بتلقين حجتي
الهي لئن عذبتني الف حجة
الهي أدقني طعم عفوك يوم لا
الهي لئن لم ترعني كنت ضائعاً
الهي اذا لم تعف عن غير محسن
الهي لئن فرطت في طلب التقى
الهي لئن اخطأت جهلاً فطالما
الهي ذنوبي بذت الطود واعتلت
الهي ينحي ذكر طولك لوعتي
الهي اقلني عثرتي وامح حوبي
الهي انلني منك روحاً وراحة
الهي لئن اقصيتني او اهنتني
الهي حلف الحب في الليل ساهر
الهي وهذا الخلق مابين نائم
وكلهم يرجو نوالك راجياً
الهي بمنيتي رجائي سلامة
الهي فان تعفو فعفوك منقذي
الهي بحق الهاشمي محمد
الهي فانشرني على دين احمد
ولا تحرمني يا الهي وسيدي
وصل عليهم مادعاك موحد

فؤادي فلي في سيب جودك مطمع
فمن ذا الذي ارجو ومن ذا اشفع
اسير ذليل خائف لك اخضع
اذا كان لي في القبر مثوى ومضجع
فجعل رجائي منك لا يتقطع
بنون ولا مال هنالك ينفع
وان كنت ترعاني فلست اضيع
فمن لمسيء بالهوى يتمتع
فها انا اثر العفو اقفو واتبع
رجوتك حتى قيل ماهو يجرع
وصفحك عن ذنبي اجل وارفع
وذكر الخطايا العين مني يدمع
فاني مقر خائف متفرع
فلست سوى ابواب فضلك اقرع
فما حيلتي يارب ام كيف اصنع
يناجي ويدعو والمفعل يجمع
ومنتبه في ليله يتضرع
لرحمتك العظمى وفي الخلد يطمع
وقبح خطيئاتي عليّ يشنع
والا فبالذنب المدمر اصرع
وحرمة اطهارهم لك خضع
منياً تقياً قائماً لك اخضع
شفاعته الكبرى فذاك المشفع
وناجاك اخيار ببابك رقع

وكانت العقيلة (ع) تلهج بهذه الايات وهي لابيها امير المؤمنين (ع) :

وكم لله من لطف خفي وكم يسر اتي من بعد عسر
يدق خفاه عن فهم الذكي وفرج كربته القلب الشجي

وكم امر تساء به صباحاً
اذا ضاقت بك الاحوال يوماً
توسل بالنبي فكل خطب
ولا تجزع اذا ماناب امر
فتأتيك المسرة بالعشي
فشق بالواحد الفرد العلي
يهون اذا توسل بالنبي
فكم لله من لطف خفي^(٣٠)

وينسب اليها :

سهرت اعين ونامت عيون
ان رباً كفاك ماكان بالأمس
فادراً لهم مااستطعت عن النفس
لامور تكون او لا تكون
سيكفيك في غد ما يكون
فحملانك الهموم جنون

- (١) الخضر : بالتحريك شدة الحياء . ومن قولهم : تحفرت المرأة اشتد حياؤها .
- (٢) الحتر : الخديعة بعينها ، وقيل هو اسوء الغدر واقبحه . وفي التنزيل العزيز (كل خثار كفور) . وفي الحديث : ماختر قوم العهد الا سلط عليهم العدو .
- (٣) اي لا تكونوا كالتي غزلت ثم نقضت غزلها ، يقال كانت امرأة حمقاء تغزل مع جواربها الى انتصاف النهار ثم تأمرهن ان ينقضن ماغزلن . ولا يزال ذلك دأبها .
- (٤) الوقاحة والادعاء تكبراً .
- (٥) فساد الاخلاق والتلطف بالعيب .
- (٦) بالتحريك البغض والتكر .
- (٧) ما تلمنه الابل والغنم بابواها وأبعارها .
- (٨) القصة (بالفتح) بناية مجصصة على القبر . كأنها تقول انتم تقصه على جيفة ، فشبهت اجسامهم بالقصة المجصصة على الميتة .
- (٩) مدره : كمنبر المقدم من اللسان .
- (١٠) لا يیزی : لا يقهر .
- والرواية والخطبة في تاريخ ابن اعثم الكوفي ٢٢١/٥ - ٢٢٦ . ومقتل الخواري ٤٠/٢ - ٤٢ .
- (١١) تضرب أصلدريك اي متكبيك ، وتنفض ملودريك ، المذوران جانباً الأليتين ، ولا واحد لها وقيل هما طرفا كل شيء كما يقال : جاء فلان ينفض ملوديه اذا جاء باغياً يتهدد ، وكذلك اذا جاء فارغاً من غير شغل .
- (١٢) مستوسقة : مجتمعة ، ومتسقة : متظمة .
- (١٣) الطلقاء هم ابو سفيان ومعاوية وبقية الامويين الذين اطلقهم رسول الله (ص) عام الفتح - يوم ورد (ص) مكة المكرمة فاتحاً وقد أيسوا من انفسهم ، وما يدرون ما يصنع بهم (ص) فامرهم ان يجتمعون فخطبهم وقال في آخر خطبته : اذهبوا فانتم الطلقاء . فعرفوا بهذا .
- (١٤) صحل صحلأ : صوته يح وخشن ، فهو صحل .
- (١٥) اشارة الى هندام معاوية حين شقت بطن حمزة عم النبي (ﷺ) وهو قبيل ولاكت باسنانها كبده

- (١٦) البيتان من قصيدة لابن الزبيرى تمثل بها يزيد شهادته بقتل الامام الحسين (ع) واصحابه .
(١٧) المخصرة : بكسر الميم كالسوط او كلياً اختصره الانسان بيده فامسكه من عصا ونحوها .
(١٨) نكأت القرحة : اى وسعت مكان جرحها .
(١٩) الشافة قرحة تخرج في اسفل القدم فتكوى وتذهب والاصل استأصل الله شأفته : اذهب كما تذهب تلك القرحة ، او ازاله من اصله .
(٢٠) وشيكاً : سريعاً .
(٢١) الفري القطع .
(٢٢) آل عمران : ١٦٩ .
(٢٣) الكهف : ٥٠ .
(٢٤) تنطف : تقطر بكسر الطاء وضمها .
(٢٥) تتحلب عينه وفوه اى سالا .
(٢٦) العواسل : الذئب السريعة العدو .
(٢٧) امهات الفراجل : تريد بها الضبايع جمع فرجل وهو ولد الضبع .
(٢٨) فصلت : ٤٦ .
(٢٩) بلاغات النساء لاحد بن طيفور / ٢١ ، الاحتجاج للطبرسي ٣٥/٢ ، مثير الاحزان / ٨٠ ، اللهوف / ٧٠ ، اعلام النساء ٩٩/٢ . الأبي : نثر الدرر
(٣٠) عقيلة بني هاشم : ١١ - ١٥ ، ابنة الزهراء بطلة الفداء لعلي شليبي / ١١٠ .



واعظم ما يشجى الغيور دخولها الى مجلس ما بارح اللهو والخمر
يقارعها فيه يزيد مسبة ويصرف عنها وجهه معرضاً كبيراً
(محمد علي كمونة ت ١٢٧٥هـ)

مقام لعمر الله ضم كريمة زكى الفرع منها في البرية والاصل
لها المصطفى جدّ وحيدة أب وفاطمة أم وفاروقهم بعمل

(ابراهيم بن يحيى العاملي ت ١٢١٤هـ)